ISSN: 2090 – 0449 Online
Universal Impact Factor (UIF), 2015.
Impact Factor for Arabic Scientific Journals, 2016.

مرسوم طرد الموريسكيين من "مملكة بلنسية"
ومرسوم طرد الموريسكيين من سائر الممالك الإسبانية

تقديم وترجمة وتعليق

محمد عبد المومن



أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي

باحث دكتوراه في تاريخ وحضارة الأندلس

تطوان – المملكة المغربية

Bando de expulcion de los moriscos del rieno de Valencia publicado en la capital el dia 22 de septiembre de 1609

Colección de Documentos históricos para la historia de España, de D. Miguel Salvá y D.Pedro Sainz de Baranda, Academia de la Historia, Tomo XVIII, Madrid, 1851. pp. 5-11.

تاريخ استلام المقال: ٠٧ يونيو ٢٠١٥

تاريخ قبـول النشــر: ٢٨ أكتوبر ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:
غرناطة، الموريسكيون، البلاط الإسباني، التنصير

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
مرسوم طرد الموريسكيين من "مملكة بلنسية" ومرسوم طرد الموريسكيين من سائر الممالك الإسبانية/ ترجمة: محمد عبد المومن.- دورية كان التاريخية.- العدد الرابع والثلاثون؛ ديسمبر ٢٠١٦. ص١٥٧ – ١٦٤.

تقديم

في عددها الثالث والعشرين، الصادر بتاريخ مارس ٢٠١٤، نشرت دورية كان التاريخية ترجمتي لمرسوم التنصير الإجباري الذي خير المدجنين[١] المقيمين في الأراضي التابعة لمملكة قشتالة بين المسيحية أو المغادرة، فشجعني ذلك على ترجمة المزيد من الوثائق القشتالية المتعلقة بمسألة الموريسكيين، لاعتقادي أن تعريب تلك الوثائق ذات اللغة الصعبة المنفرة سيساعد على تطوير البحث وتعميقه، وعلى توفير مصادر جديدة ستساعد على إنارة الجوانب التي لا تزال غامضة خصوصًا المتعلقة بالظروف التي عاشها الموريسكيون خلال القرن السادس عشر وبداية السابع عشر، أو بقضية الطرد تلك القضية التي نعتقد أنها لم تنل لحد الآن ما تستحقه من دراسة وتعمق. ويسرني في هذه المرة أن أضع بين يدي القارئ العربي ترجمتي لوثيقتين هامتين لم يسبق أن ترجمتا إلى اللغة العربية، أولهما مرسوم طرد موريسكيي بلنسية الذي جرى تعميمه بتاريخ (١٦٠٩/٠٩/٢٢)، وثانيتهما مرسوم طرد الموريسكيين من سائر أقاليم إسبانيا الذي جرى تعميمه بتاريخ (١٦٠٩/١٢/٠٩).

السياق العام

يشكل صدور مراسيم الطرد القسري للموريسكيين نقطة تحول جوهرية في القضية الموريسكية، حيث كان هدف الملك فيليب الثالث من إصدارها إيجاد حل نهائي لمشكلة أقلقت المجتمع الإسباني لفترة طويلة، مشكلة بدأت مع استيلاء الملكين الكاثوليكيين فرناندو إيزابيلا[٢][٣] على مدينة غرناطة.

ضم الملكين الكاثوليكيين لمدينة غرناطة وإقليمها جاء بعد إعطائهم مجموعة من الوعود للسكان المسلمين (حرية ممارسة الشعائر الإسلامية ممارسة العادات والتقاليد واللغة العربية...)، لكن الكاردينال سيسنيروس[٤] وعدد من رجال البلاط توهموا أن المنهزمين سيتنصرون فرادى وجماعات، وهذا لم يحصل، فلجأ سيسنيروس إلى التعميد القسري، فرأى المسلمون في ذلك نقضا لما تم الاتفاق عليه في معاهدة التسليم[٥] التي وقعها ملكا قشتالة وأراغون مع الملك أبي عبد الله بن الأحمر،[٦] فثاروا في

غرناطة والبشرات[٧] ثورة خلفت كثيرًا من القتلى بسبب القمع الشديد. وفي سنة ١٥٠٢ صدر المرسوم الذي خير المسلمين بين الرحيل والتنصر، فرحل البعض وتنصرت الأغلبية صوريا، هؤلاء المسلمون الذي تحولوا بين عشية وضحاها إلى مسيحيين هم من نسميهم بالمورسكيين.

خلال حكم كارلوس الأول[٨] لم تكن هناك مشاكل كثيرة (باستثناء تعرض مورسكيي بلنسية لاعتداءات متكررة من طرف بعض الجماعات الثائرة على سلطة النبلاء)، فالمورسكيون حافظوا على لغتهم وثقافتهم لكنهم تحولوا بسبب ذلك إلى أقلية غير مندمجة اجتماعيًا، وكانت أحوالهم خلال تلك الفترة أسوأ من المسيحيين، لأن السادة عاملوهم في الغالب معاملة الأقنان.

أما في عهد فيليبي الثاني،[٩] فقد تم ربط الوجود المورسكي بالصراع العثماني الإسباني، واتهم المورسكيون بربط علاقات بالعثمانيين وبالقراصنة[١٠] الذين كانوا يهاجمون السواحل والسفن الاسبانية انطلاقا من إفريقيا الشمالية، وخلال نفس الفترة وبالضبط سنة ١٥٦٦ صدرت مراسيم تمنع استعمال اللغة العربية، وتحضر ارتداء أنواع معينة من الملابس، وعددًا من العادات التي كان يحرص عليها المورسكيون، فاندلعت ثورة عنيفة بقيادة محمد بن أمية [١١] وهي الثورة التي انتهت بتشريد مورسكيي غرناطة، وجبال البشرات وجبال رندة في أراضي قشتالة، وبذلك توزع المورسكيون على مناطق كثيرة وأصبح المشكل المورسكي عاما، فاقترح البعض تهجير المورسكيين إلى خارج إسبانيا لكن هذا الاقتراح تأجل تطبيقه عدة مرات بسبب ضغط النبلاء الأراغونيين والبلنسيين، وبسبب الظروف الداخلية والخارجية غير المساعدة.

بعد وصول فيليبي الثالث [١٢] إلى كرسي الحكم عقب وفاة والده سنة ١٥٩٨، قام برحلة إلى إقليم بلنسية برفقة مستشاره [١٣] فرانسيسكو غوميث دي ساندوفال[١٤] (الذي يعرف عنه اطلاعه الدقيق على المسألة المورسكية ومعارضته لطرد المورسكيين). غادر الملك الإقليم سنة ١٥٩٩ وهو مطلع على الوضع الديموغرافي والسياسي بشرق إسبانيا، ولذلك بعث لرئيس أساقفة بلنسية خوان دي ريبيرا [١٥] (الذي كان مساندًا لفكرة طرد المورسكيين) يأمره فيها بمضاعفة الجهد لتنصير أكبر عدد من المورسكيين عن طريق الوعظ والتعليم الديني.

أما رجال البلاط الإسباني، فقد كان أغلبهم ينظر إلى المشكل من وجهة نظر سياسية عسكرية واضعين نصب أعينهم إمكانية استغلال المورسكيين ضد اسبانيا من طرف قوة خارجية، وقد آزر هذا الرأي عدد من رجال الدين الذين كانوا يساندون فكرة الطرد، منهم الراهب الدومينيكاني خايمي بليدا [١٦] والأسقف خوان دي ريبيرا الذي التمس من الملك طرد المورسكيين مرتين، المرة الأولى في رسالة مؤرخة ب دجنبر ١٦٠١ قال فيها أنه إذا لم يطرد المورسكيون "فسوف يرى ضياع إسبانيا في حياته"، والثانية مؤرخة في يناير سنة ١٦٠٢ وصف فيها المورسكيين بالهراطقة الذين خانوا الرب والملك.[١٧]

أما واعظ الملك، الراهب خيرونيمو خابييري،[١٨] فقد انتقد سنة ١٦٠٧ فكرة الطرد التي اقترحها الأسقف دي ريبيرا، بل اعتبره مسؤولاً عن فشل محاولات تنصير المورسكيين في بلنسية مناطق شرق إسبانيا، مما يؤكد أن البلاط الملكي الإسباني كان منقسمًا بين من يؤيدون الطرد ومن يؤيدون السير قدمًا في تنصير المورسكيين، لكن هذا الوضع تغير سنة ١٦٠٨ حيث أجمع أعضاء مجلس الدولة على فكرة الطرد.[١٩]

يرى أنطونيو دومينيغيث أورطيث وبرنارد فانسون أن السبب هو تغير موقف مستشار الملك فرانسيسكو غوميث دي ساندوفال (دوق ليرما)، الذي ربما أقنع أعضاء المجلس (وخصوصًا النبلاء الذين كانوا يحصلون من المورسكيين على منافع ومداخيل مادية وعينية في إطار العلاقات الفيودالية) بأنهم سوف يعوضون عن خسائرهم عن طريق السماح لهم بالاستيلاء على أملاك وعقارات المورسكيين في حال طردهم. وبالإضافة إلى الترغيب، استعمل دوق ليرما الترهيب على اعتبار أن المورسكيين يشكلون خطرًا على النبلاء وعلى كل إسبانيا لأن عددهم كان يتزايد باستمرار خصوصًا في منطقة بلنسية والقنت[٢٠] وسرقسطة، حيث وصل عددهم في هذا المناطق إلى أكثر من مائتي ألف.[٢١]

ودائمًا حسب أنطونيو دومينيغيث أورطيث وبرنارد فانسون، فإن اتخاذ الملك قرار الطرد لم يكن فقط بتأثير من دوق ليرما ومجلس الدولة، بل أيضا بإيعاز وتشجيع من زوجته الملكة مارغريت النمساوية[٢٢] الذي قال عنها الكاهن الذي قام بطقوس جنازتها أنها كانت "تحمل الحقد المقدس للمورسكيين"، وأنها "سبب أعظم الوقائع في كل تاريخ إسبانيا".[٢٣]

ناقش مجلس الدولة مسألة المورسكيين في جلسات بدأت يوم ٢٢ نونبر ١٦٠٨، واستمرت إلى غاية شهر مارس ١٦٠٩، (في هذه السنة تم توقيع الهدنة مع الثوار البروتستانت الهولنديين) بحضور العديد من الأساقفة الذين طلب منهم أن يدلوا بآرائهم، فعارض البعض وساندت الأغلبية، وهكذا بدأت الاستعدادات الفعلية لتنفيذ قرار الطرد هذا، وكان أبرز هذه الاستعدادات إصدار مرسوم الطرد القسري لمورسكيي بلنسية والذي وقعه الملك فيليبي الثالث يوم ١٩ أبريل ١٦٠٩ وتم تعميمه يوم ٢٢ شتنبر ١٦٠٩[٢٤] شهورًا قليلة بعد ذلك وبالضبط في دجنبر من نفس السنة صدر مرسوم طرد المورسكيين من سائر المناطق الإسبانية, لينتهي بذلك فصل آخر من فصول مآسي الأندلسيين المتأخرين.

لغة الوثيقة

كتبت الوثيقتان بالإسبانية التي كانت متداولة خلال القرون (١٥، ١٦، ١٧) وهي التي يسميها المختصون "إسبانية العصر الذهبي"، وهي تختلف قليلاً عن الإسبانية المعاصرة. فقد صادفنا بعض التعابير والكلمات والتراكيب المتروكة، إلا أن أهم فرق بين ما كان سائدًا في تلك الفترة وما هو متداول حاليًا هو الحروف، فقد استخدم الكاتب مثلا حرف (f) بدلاً من (s)، واستخدم حرف (u) بدلاً من (v)، واستخدم حرف (g) بدلاً من (j)، وحرف (y) بدلاً من (i)....، فكلمة موريسكي مثلاً التي تكتب بالإسبانية المعاصرة بهذه الطريقة (Morisco)، أما في الوثيقة فكتب هكذا (Morifco).

إلا أن هذا لم يطرح أمامنا أية مصاعب، في حين أن المشكلة الأساسية التي واجهناها هي عدم وجود مرادفات عربية لبعض الكلمات المغرقة في المحلية والتي ليس لها مرادف حتى في اللغات الأوربية الأخرى، لذلك حاولنا تقريب المعنى للقارئ عن طريق اختيار الكلمات التي نراها مناسبة والأقرب إلى المعنى المقصود مع شرح الكلمة في الهامش.

اسم الوثيقة الأولى بالإسبانية:

Bando de expulcion de los moriscos del rieno de Valencia publicado en la capital el dia 22 de septiembre de 1609

أي مرسوم طرد موريسكيي مملكة بلنسية[٣٥] الذي جرى تعميمه في العاصمة يوم ٢٢ شتنبر/ سبتمبر ١٦٠٩.

مصدر الوثيقة الأولى:

عثرنا على هذه الوثيقة في الموسوعة المعنونة بـ:

Colección de Documentos históricos para la historia de España, de D. Miguel Salvá y D.Pedro Sainz de Baranda, Academia de la Historia, Tomo XVIII, Madrid, 1851. pp 5-11.

هذه الموسوعة المكونة تشكل عملاً أكاديميًا مهمًا، حيث تضم الآلاف من الوثائق المتعلقة بتاريخ إسبانيا وعدد منها لها علاقة وثيقة بالتاريخ الأندلسي وبتاريخ الموريسكيين، وقد أشرف على جمع النصوص كل من الدكتور ميغيل سالبا، والدكتور بيدرو ساينز دي براندا، وطبعتها الأكاديمية الملكية للتاريخ.

نشر مرسوم طرد موريسكيي بلنسية ضمن الجزء (١٨) قسم الوثائق الديبلوماسية في الصفحات من ٥ إلى ١١. وينبغي أن أشير إلى أني اطلعت على نسخة أصلية محفوظة في الأرشيف البلدي لمدينة القنت، وهي وثيقة لا تحمل أي رقم مرجعي، كما أنها متطابقة مع النسخة المنشورة ضمن الموسوعة السالفة الذكر.

اسم الوثيقة الثانية بالإسبانية:

Expulcion de todos los moriscos habitantes en estos reynos; y prohibicion de volver a ellos.

أي: "مرسوم طرد جميع موريسكيي هذه الممالك [٣٦] وحظر العودة إليها عليهم".

مصدر الوثيقة الثانية:

وقد نشرت هذه الوثيقة ضمن المجلد العاشر (الخاص بالجرائم والعقوبات) من موسوعة ضخمة تضم مجموع القوانين التي أصدرها الملوك الإسبان إلى غاية سنة ١٨٥٠، والوثيقة موجودة في الصفحتين ٥ و٦ في القسم المتعلق بجرائم المسلمين والمرسكيين وعقوباتها.

Los codigos Españoles concordados y anatados. Tomo decimo. Novisima Recopelacion de los Leyes de España Tomo IV. Que contiene el libro duodecimo; suplemento e indice. Madrid 1850. pp. 5 – 6.

الوثيقة الأولى

مرسوم الطرد القسري لموريسكيي مملكة بلنسية

المنشور في العاصمة يوم ٢٢ شتنبر ١٦٠٩

الملك، ومن جلالته

من دون لويس كاريو دي طوليدو [٣٧]، ماركيز كاراثينا، سيد بلدة بنتو وبلدة إينيس، قائد [فرسان رهبانية القديس يعقوب [٣٨] في] شنكلانا ومونتي سون[٣٩]، نائب الملك وقائد قواته [في مملكة بلنسية]، وحاكم هذه المدينة وكل مملكة بلنسية بتكليف من جلالته.

إلى الكبراء، الأساقفة، النبلاء، البارونات، الفرسان، القضاة، نقباء المدن والبوادي، الحكام، وكل موظفي جلالة الملك، المواطنون، سكان هذه المملكة.

توصلت من جلالة الملك برسالة مؤرخة ب ٤ غشت من هذه السنة موقعة بيده الملكية ومؤشر عليها من طرف أمين سر الدولة أندريس دي برادا[٣٠] ورد فيها ما يلي:

ماركيز كاراثينا، صديقي ونائبي، الحاكم العام لمملكة بلنسية، تعلم الجهود التي بذلت خلال السنوات الطويلة الماضية لتنصير موريسكيي هذه المملكة ومملكة قشتالة، ومراسيم النعمة[٣١] التي أصدرت، والمساعي الكثيرة التي بذلت لتلقينهم تعاليم إيماننا المقدس (رغم المخاطر والخسائر التي كان من الممكن أن يؤدي إليها التساهل معهم). وتعلم أيضًا أن كل ذلك انتهى إلى الفشل، حيث لم يتنصر أحد. بل بالعكس، زاد تعنت هؤلاء الموريسكيون أكثر.

وقبل أيام قليلة قدم لي عدد من العلماء، الأتقياء، الحل الناجع، والضروري، والذي يرضي الضمير ويرضي الرب.

لقد شاروا علي بأنه يمكن معاقبة أولئك المشبوهين بالقتل والمصادرة لأنهم مصرون على معاصيهم، ولأنهم هراطقة، ملاحدة، خونة للرب وللملك.

وعلى الرغم من أنني يمكنني أن أعاقبهم بالصرامة التي تستوجبها خطاياهم لكن لا تزال تحدوني الرغبة في تقليص عددهم برفق ولين.

ولهذا آمرك بتشكيل لجنة تضم في عضويتها نائب الملك والأساقف وكبار رجال الدين وذوي الخبرة لتدارس كيفية ترحيل المطرودين من مملكتنا. فأنا قد تأكدت من حجم الضرر الذي يتسبب فيه الموريسكيون المقيمون في مملكة بلنسية والمقيمون في مملكة قشتالة، حيث وصلتني أخبار مؤكدة أجمعت على استمرارهم في الكفر والعصيان. كما وصلتني أخبار عن عزمهم إثارة الفوضى في مناطق متعددة من ممالكنا. ورغبة مني في الوفاء بتعهداتي في الحفاظ على أمن المواطنين وممتلكاتهم وقمع الفتن والهرطقات وبشكل خاص في مملكة بلنسية، وبعد أن توكلت على الرب والتمست عونه، قررت أنه على جميع موريسكيي مملكة بلنسية الخروج إلى شمال إفريقيا[٣٢] وليتحقق هذا القرار بالشكل المطلوب أمرنا بتعميم هذا المرسوم:

١- في البداية نؤكد أنه يجب على جميع موريسكيي هذه المملكة رجالاً ونساء، ومعهم أطفالهم، وفي غضون ثلاثة أيام من تعميم هذا المرسوم، مغادرة مساكنهم ومناطق سكناهم الأصلية، والاتصال بالمسئولين وإطاعة أوامرهم، ويمكنهم أن يحملوا معهم ما شاؤوا من الأمتعة وكل ما يحتاجون إليه، حيث سيتم إركابهم في السفن والمراكب التي ستعبر بهم إلى شمال إفريقيا دون أن يتعرضوا للمعاملة السيئة أو الإهانة أو الإزعاج، ونعلمهم أنه يمكنهم أخذ كل ما يستطيعون، كما سيتم التكلف بالمؤن الكافية لرحلة عبورهم، كما نحذر من أن أي عصيان لمضامين هذا المرسوم، سيكون عقابه الإعدام الفوري.

٢- بعد ثلاثة أيام من تعميم هذا المرسوم، فلن يسمح بوجود أي موريسكي في منزله أو في منطقته الأصلية، وإنما على الجميع أن يكونوا في طريقهم إلى أقرب مرسى ليتم إركابهم منه إلى بلاد المسلمين، وأي موريسكي عصى هذا الأمر يعتقل، ويسلم إلى أقرب محكمة ليلقى جزاءه، وإذا قاوم يقتل على الفور.

٣- يُعاقب بنفس العقوبة كل موريسكي يلقى عليه القبض وهو متوجه إلى مكان آخر غير المكان الذي سيتم منه إركاب الموريسكيين ليغادروا صوب شمال إفريقيا، وعلى الموريسكيين التزام منازلهم لغاية وصول المسئولين الذين سيشرفون على عملية الترحيل.

٤- إذا قام أحد الموريسكيين بإخفاء أو طمر بعض من أملاكه المنقولة التي عجز عن حملها، أو قام بإضرام النار في منزل أو حقل مزروع أو بستان أو أشجار، فسيعاقب بالموت سكان المكان حيث وقع الحادث.

ويأمر جلالة الملك الجميع بما في ذلك السادة والأقنان بضرورة الحفاظ على العقارات والممتلكات المنقولة التي سيخلفها الموريسكيون.

٥- ومن أجل الحفاظ على المنازل ومعامل السكر والمزات وقنوات الري، يمكن إعلام السكان الجدد بإمكانية القدوم والاستقرار، كما تفضل جلالة الملك فاستجاب للاستعطافات، فأمر بأن تبقى ست أسر من كل مائة أسرة بما في ذلك الزوجة والأبناء غير المتزوجين ولا المقبلين على الزواج ولا الذين هم في عمر الزواج، على أن يكونوا تحت رعاية أولياء أمورهم مع إمكانية تكييف هذا الإجراء حسب الأحوال السائدة وحسب خصائص كل منطقة.

ترجمات

سيتكلف الأسياد باختيار الأسر التي ستبقى، وعليهم إعلامنا بالأشخاص الذين تم اختيارهم للبقاء، وعدد من سمح لهم بالبقاء في أراضي جلالة الملك.

ونؤكد على أن يكون المختارون للبقاء من كبار السن الذين أبانوا على أنهم مسيحيون مؤمنون فقط بعقيدتنا الكاثوليكية، وعلى أن تكون مهمتهم الوحيدة العناية بالأرض.

٦- يُمنع على جميع المسيحيين القدماء والجنود سواء كانوا من هذه المملكة أو من غيرها أن يوجهوا أية إهانة، أو أن يقوموا بأي فعل يزعج الموريسكيين، كما نحذر من أن يقترب أحد منهم أو من أبنائهم أو من نسائهم أو من ممتلكاتهم أو من أي أحد يرافقهم.

٧- نحذر الموريسكيين من إخفاء أية ممتلكات في منازلهم، ونحذر الجميع من مد يد المساعدة لهم تحت طائلة العقاب سبع سنوات من التجديف، أو بعقوبات أخرى تقدر حسب طبيعة الجريمة.

٨- ليكن في علم الموريسكيين، أن الهدف الوحيد لجلالة الملك هو إخراجهم من مملكته، وبأنه لن تتم مضايقتهم أثناء خروجهم، كما أنه يأذن لعشرة موريسكيين من الذين سيرحلون مع أول رحلة بالتوجه إلى شمال إفريقيا للاطلاع على أخبارها ثم العودة بعد ذلك لإسبانيا. وكذلك الأمر مع كل دفعة جديدة. كما أن جلالة الملك سيعطي أوامره لكل ربابنة السفن وقادة الجنود العاملين عليها ليمنعوا كل بحار وجندي من توجيه أية إهانة أو إساءة إلى أحد الموريسكيين المرحلين.

٩- لا يطرد الاطفال من الجنسين تحت سن الرابعة الراغبون في البقاء، والذين تخلى عنهم آباؤهم بل يعتبرون أيتامًا.

١٠- لا يطرد الأطفال تحت سن الست سنوات ولا أمهم الموريسكية إذا كان أبوهم مسيحيًا قديمًا. أما إذا كان الأب موريسكيًا والأم من المسيحيين القدماء فيطرد الأب، في حين يبقى الأطفال تحت سن ست سنوات مع أمهم.

١١- يُسمح بالبقاء لمَنْ ثبت أنه مسيحي حقيقي، وملتزم ويعيش بين المسيحيين منذ مدة طويلة ولم يسبق له أن كان عضوًا في جماعة[٣٣] موريسكية.

١٢- يُسمح بالبقاء لمَنْ تم تعميدهم، الحاصلين على شهادة خاصة من طرف أساقفة مناطق إقامتهم الأصلية.

١٣- يأذن صاحب الجلالة للموريسكيين الراغبين في المغادرة إلى وجهة أخرى (غير شمال إفريقيا) بالخروج من إسبانيا، لكن دون المرور بممالك إسبانيا لأن عليهم المغادرة داخل الآجال المحددة.

هذه هي أوامر جلالة الملك، ويجب أن تطبق البنود المتضمنة في هذا المرسوم بكل صرامة، ومَنْ تجرأ على مخالفتها فسوف يعاقب بدون رحمة.

وليكن في علم الجميع، أن الرسائل الإخبارية قد تم إرسالها بالطريقة الاعتيادية من القصر الملكي ببلنسية يوم ٢٢ شتنبر ١٦٠٩.

الماركيز دي كاراثينا

بإذن من فخامته مانويل دي إسبينوسا[٣٤]

الوثيقة الثانية

مرسوم طرد الموريسكيين من سائر أراضي مملكة إسبانيا

حاولنا لمدة طويلة تنصير موريسكيي هذه الممالك، كما عاقبهم ديوان التفتيش المقدس بعدد من العقوبات بالموازاة مع إصداره للعديد من مراسيم النعمة، ولم يترك وسيلة ولا أسلوبًا لتلقينهم عقيدتنا المقدسة إلى اتباعه بدون أن تتحقق النتيجة المرجوة لأنه ما من أحد قد تنصر حقيقة.

وحيث أن لا أحد تنصر بسبب العناد المتعاظم، ونظرًا للخطر الداهم الذي يشكله هؤلاء الموريسكيون على ممالكنا – في حال بقائهم – فإني استشرت عددا من ذوي الخبرة والإيمان الراسخ بالرب، فأشاروا علي بالحل الناجع.

لقد أشاروا علي بأنه من الجائز أن نوقع بهم العقاب - ونحن نستطيع ذلك – في الأرواح والممتلكات لأنهم أهانوا الرب طويلا، ولأنهم مصرون على معاصيهم، ولأنهم أيضًا هراطقة ملاحدة خونة للرب والملك.

ورغم أنه بإمكاننا معاقبتهم بالصرامة التي تستوجبها جرائمهم، لكن تحدونا الرغبة في تقليص عددهم برفق ولين.

لقد أمرنا بتشكيل لجنة في بلنسية ومملكتها، تضم في عضويتها الأسقف ورجال الدين وأهل الخبرة لتنظر في شأن من يتوجب طردهم، ولتشرف على الحل الذي وقع اختيارنا على تطبيقه. وقد تمكنا من التخلص من موريسكيي تلك المملكة مع ضررهم، ولدينا أخبار مؤكدة بأنهم بعثوا رسائل إلى مدينة القسطنطينية للاتصال بالتركي[٣٥] وإلى مدينة مراكش للاتصال بالسلطان مولاي زيدان[٣٦] ليمدوهم بالعساكر والدعم والنجدة، وقد ذكروا في هذه الرسائل أن بإمكانهم تجنيد أكثر من مائة ألف رجل، بالإضافة إلى المتطوعين من المغاربة الذين سيضحون بأرواحهم وأموالهم كما يأملون أن يكون الانتصار سهلاً.

وقد كرروا الخطاب نفسه في رسائل أخرى أرسلت إلى عدد من أعدائنا الرئيسين.

وبالنظر إلى كل ما ذكرناه سلفًا، والتزامًا بواجبنا في حماية ورعاية الإيمان الكاثوليكي المقدس، وحرصنا على السلام والأمن، واستجابة لما أشار به المجلس المكون من رجال متفانين في الإخلاص للرب لذا أمرنا بما يلي:

على جميع الموريسكيين من سكان هذه الممالك رجالاً ونساءً وأطفالاً - سواء كانوا مولودين بها أو من الأجانب – باستثناء العبيد - أن يخرجوا من هذه الممالك إلى خارج حدود إسبانيا في غضون ثلاثين يومًا تبدأ من يوم تعميم هذا القانون، ونمنع عليهم العودة إليها تحت طائلة العقاب بالإعدام والمصادرة. هذه العقوبات التي أعطي الإذن منذ الآن بتنفيذها في المخالفين دون حاجة إلى محاكمة.

١- نأمر ونحضر على جميع السكان والمقيمين في هذه الممالك والإقطاعيات من أي طبقة وأي حالة وأي درجة من درجات النبلاء، بعدم استقبال أو قبول أو إيواء أو تقديم الحماية سرًا وعلنًا لأي موريسكي وأية موريسكية بعد انصرام الأجل الذي حددناه دائمًا وإلى الأبد، سواء في أراضيهم أو مساكنهم أو في أي مكان آخر تحت طائلة المصادرة الشاملة للأملاك والإقطاعيات والحصون وغيرها من العقارات لصالح الخزينة الملكية دون أية إمكانية للعفو عن من قد تتم معاقبته.[٣٧]

٢- يمكننا ولنا الحق في ذلك في أن نأمر بمصادرة كل ممتلكات الموريسكيين العقارية والمنقولة بسبب جرائمهم المرتكبة ضد الرب والملك، لكني سأكون رحيما بهم حيث سأترك لهم حرية التصرف طيلة المهلة التي حددنها في ثلاثين يومًا، حيث يمكنهم مبادلتها (ليس بالنقد والذهب والفضة والحلي والصكوك) ولكن بالسلع المسموح بها من مواطني هذه الممالك وليس من غيرهم.[٣٨]

٣- وليستفيد الموريسكيون والموريسكيات من المهلة التي حددناها في ثلاثين يومًا، فقد رخصنا لهم أن يتصرفوا بالبيع والشراء في المحاصيل والغلال، لكننا حظرنا عليهم التصرف في العقارات التي ستصير إلى الخزينة الملكية لتوظف في خدمة الرب والصالح العام.

ويبدو لنا أنه من الضروري أن أشير إلى أننا نضمن سلامتهم وسلامة أملاكهم خلال المهلة المحددة، ليتمكنوا من السفر في أمان، وليتمكنوا من البيع والشراء والمقايضة والتصرف في أملاكهم المنقولة، كما رخصنا لهم استعمال نقود الذهب والفضة والحلي في شراء السلع من مواطني هذه الممالك، ولهم حرية التصرف في تلك السلع والغلال بحرية، ونحذر من التعرض لهم شخصيا أو الاعتداء على ممتلكاتهم، ونحذر الجميع من أن خرق هذا الأمان الملكي سيعرض مرتكبه للعقوبات الجاري بها العمل.

٤- وكذلك أسمح وأجيز لهؤلاء الموريسكيين والموريسكيات بأن يخرجوا من ممالكي وإقطاعياتي البضائع والثمار عبر البر والبحر، مقابل أداء المكوس الجاري بها العمل، ولكن بشرط ألا يخرجوا ذهبًا ولا فضة ولا أية نقود مسكوكة ولا أية أشياء ثمينة، ونرخص لهم بإخراج المقدار الضروري الكافي لخروجهم سواء خرجوا برًا أو بحرًا.

الهَوامِش:

(١) **المدجنون**: هم مسلمون بقوا في المناطق التي استولى عليها المسيحيون، ولم يتنصروا، لكنهم أجبروا على ذلك في أوائل القرن السادس عشر بموجب مرسوم ١٥٠٢/٠٢/١٧.

(٢) **فرناندو الثاني**: (١٤٥٢ - ١٥١٦) أحد الملوك الكاثوليك، ملك آرغون ثم اسبانيا بعد وحدتها مع قشتالة.

(٣) **إيزابيلا الأولى**: (١٤٥١ - ١٥٠٤) ملكة قشتالة ثم إسبانيا بعد وحدتها مع مملكة أراجون، كانت لقراراتها آثار عظيمة في تاريخ أسبانيا.

(٤) **فرانثيسكو خيمينيث دي ثيسنيروس**: (١٤٣٦ – ١٥١٧) كاردينال إسباني، شخصية مهمة ومؤثرة في التاريخ الإسباني، حيث تولى عددًا من المناصب أهمها: أمين سر الملكة إيزابيلا، وكبير المفتشين محاكم التفتيش، ورئيس أساقفة إسبانيا.

(٥) **معاهدة تسليم غرناطة**: معاهدة وقعت بتاريخ ٢٥/ ١٤٩١/١١ من طرف أبي عبد الله بن الأحمر آخر ملوك غرناطة من جهة وفرناندو ملك أراغون وزوجته إيزابيلا ملكة قشتالة من جهة ثانية وقد التزم أبو عبد الله في هذه المعاهدة بتسليم غرناطة مقابل جملة من الشروط التي نقضها الإسبان فيما بعد.

(٦) أبو عبد الله بن الأحمر: آخر ملوك مملكة غرناطة من بني نصر وهو ابن أبو الحسن علي بن سعد، الذي خلعه من الحكم وطرده من البلاد سنة 1482، سماه الإسبان (El Chico) أي الصغير وسماه الغرناطيون بالزغيبي (المنحوس) سلم غرناطة للملكين الكاثوليكيين يوم ٢ يناير ١٤٩٢ وتوفي في فاس سنة ١٥٢٧.

(٧) **البشرات**: منطقة تاريخية تقع في جنوب إسبانيا، إلى جنوب جبال سييرا نيفادا قرب غرناطة في منطقة الأندلس ذاتية الحكم. يقع القسم الغربي منها في إقليم غرناطة ويقع القسم الشرقي منها في إقليم المرّية.

(٨) **كارلوس الخامس هابسبورغ**: (١٥٠٠ – ١٥٥٨) ملك إسبانيا وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة. توّج ملكًا لإسبانيا باسم كارلوس الأول وملك إيطاليا وأرشيدوق النمسا ورأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

(٩) فيليبي الثاني: (١٥٢٧ – ١٥٩٨) ملك إسبانيا فيما بين ١٥٥٦ و١٥٩٨ يُعَدّ أحد أعظم ملوك إسبانيا وقعت خلال مدة حكمه ثورة البشرات التي شرد بسببها مورسكيو غرناطة والبشرات وجبال رندة.

(١٠) تسمى القرصنة في المدونات التي كتبها المؤرخون المسلمون بالجهاد البحري.

(١١) **فيرناندو دي بالور** أو محمد بن أمية: (١٥٢٠ – ١٥٦٩) قائد أندلسي مسلم قاد ثورة مسلمي الأندلس ضد الملك فيليب الثاني، التي عرفت بـ "حرب البشرات".

(١٢) **فيليبي الثالث**: (١٥٧٨ – ١٦٢١) ملك إسبانيا والبرتغال من سنة ١٥٩٨ إلى وفاته خلال عهده طرد المورسكيون من إسبانيا.

(١٣) كان فرانسيسكو غوميث دي ساندوفال يحمل لقب (Valido) الذي لم نجد له مقابلاً في اللغة العربية فترجمناه بالمستشار مع العلم أن مَنْ حملوا هذا اللقب كانوا تمتعون بقرب كبير من الملك وبسلطات واسعة.

(١٤) فرانسيسكو غوميث دي ساندوفال (١٥٥٣ – ١٦٢٥) سياسي إسباني كان مقربًا للملك فيليبي الثالث لعب دورًا مهمًا في عملية طرد المورسكيين.

(١٥) **خوان دي ريبيرا**: (١٥٣٢ – ١٦١١) رجل دين وسياسي إسباني شغل منصب رئيس أساقفة بلنسية من سنة ١٥٦٩ إلى حين وفاته ومنصب نائب الملك بإقليم بلنسية من سنة ١٦٠٢ إلى ١٦٠٤.

(١٦) **خايمي بليدا**: (١٥٥٠ - ١٦٢٢) راهب كان ينتمي للرهبنة الدومينيكانية كان له دور في عملية طرد المورسكيين عرف بمؤلفه حوليات مسلمي إسبانيا.

(17) Domínguez Ortiz, Antonio; Vincent, Bernard (1993). Historia de los moriscos. Vida y tragedia de una minoría. Madrid: Alianza Editorial. Pp. 164.

(١٨) **خيرونيمو خابييري**: (١٥٤٦ – ١٦٠٨) رجل دين كاثوليكي إسباني شغل منصب رئيس الرهبة الدومينيكانية.

(19) Domínguez Ortiz, Antonio; Vincent, Bernard (1993). Pp. 170.

(٢٠) **القنت** (Alicante): إحدى من شرق إسبانيا تقع بالقرب من بلنسية وتتبع حاليا منطقة الحكم الذاتي لبلنسية.

(21) Kamen, Henry (2011). La Inquisición Española. Una revisión histórica (3ª edición). Barcelona. Pp. 219.

(٢٢) **مرغريت النمساوية**: (١٥٨٤ - ١٦١١) ملكة إسبانيا وزوجة الملك فيليبي الثالث.

(23) Domínguez Ortiz, Antonio; Vincent, Bernard (1993).Pp. 162.

(24) Domínguez Ortiz, Antonio; Vincent, Bernard (1993).Pp. 171.

(٢٥) كانت بعض مناطق اسبانيا تحمل تسمية مملكة كمملكة قشتالة القديمة ومملكة قشتالة الجديدة ومملكة أراغون ومملكة مورسية... في حين كانت مناطق أخرى تحمل تسميات مختلفة من قبيل إمارة أو كونطية... وهذا طبعًا من بقايا النظام الفيودالي.

(٢٦) المقصود بالممالك المناطق المختلفة التابعة للتاج الإسباني مع العلم أن مورسكيي وبرشلونة وأراغون ومرسية طردوا بمراسيم خاصة أكثر تدقيقًا وانتقائية صدرت سنة ١٦١٠.

(٢٧) **لويس كاريو دي طوليدو**: (١٥٦٤ – ١٦٢٦) سياسي وعسكري إسباني شغل مجموعة من المناصب المرموقة خلال حكم في فيليبي الثالث كما عينه فيليبي الرابع مشتشارًا.

(٢٨) **رهبانية القديس يعقوب**: إحدى الرهبانيات العسكرية التي حاربت المسلمين خلال ما يعرف بحروب الاسترداد تأسست بمملكة ليون خلال القرن الثاني عشر الميلادي.

(٢٩) شيكلانا (Chiclana)، ومونتي سون (Montison) مواقع توجد حاليًا في مقاطعة جيان.

(٣٠) أندريس دي برادا إي غوميث دي سانطايا: (١٥٤٥ – ١٦١١) شغل منصب أمين سر الملك فيليبي الثاني وبعد وفاته عينه الملك فيليبي الثالث في منصب أمين سر مجلس الدولة.

(٣١) مرسوم النعمة (Edicto de gracia): إنذار كان يرسله ديوان التفتيش المقدس إلى القرى والبلدات التي كان يشك أن أهلها يتسترون على أحد الهراطقة وقد هذا الإنذار يمنح مهلة للمتهمين لتسليم أنفسهم والاعتراف على أن يتم العفو عنهم وفي حالة انصرام المهلة دون اعتراف أحد يحضر المفتشون.

(٣٢) ترجمنا كلمة (Brabaria) التي تعني أرض البربر بشمال إفريقيا.

(٣٣) هكذا في الأصل (Aljama) ومعلوم أن هذه الكلمة تشير إلى التجمعات المسلمة واليهودية التي كانت تعيش تحت الحكم القشتالي إلا أنه بعض طرد اليهود سنة ١٤٩٢ وتخيير المسلمين بين التنصر والرحيل سنة ١٥٠٢ صار تشكيل الجماعات المسلمة واليهودية محظورًا.

(٣٤) **مانويل دي إسبينوسا**: لم نعثر على ترجمة له ولعله كان كاتب سر نائب الملك على بلنسية لويس كاري ودي طوليدو.

(٣٥) هكذا في الأصل والمقصود طبعًا هو السلطان العثماني أحمد الأول (١٥٩٠ – ١٦١٧) الذي حكم من سنة ١٦٠٣ إلى سنة ١٦١٧.

(٣٦) **مولاي زيدان**: أحد سلاطين الدولة السعدية حكم مملكة مراكش سنة ١٦٠٣ إلى سنة ١٦٢٧ حيث أن الدولة السعدية انقسمت (مملكة فاس ومملكة مراكش) بعد وفاة أحمد المنصور السعدي.

(٣٧) لاحظ أن هذه التحذيرات موجهة أساسًا للنبلاء لعلمه أنهم سيتضررون من طرد الموريسكيين، ولأنهم سبق وأن دافعوا عن الموريسكيين بإصرار خصوصًا خلال حكم الإمبراطور كارلوس الأول.

(٣٨) كان الفكر الاقتصادي الرائج أنداك في أوربا هو الفكر المركنتيلي الذي يعتبر أن قوة الدولة تتحدد حسب مقدار ما تملكه من ذهب وفضة، لذلك منع الإسبان إخراج المعادن الثمينة ليس فقط على الموريسكيين ولكن الجميع وخصوصًا على التجار.